

الاستغفار في حياة الدعاة

الدكتور: محمد بن إبراهيم الرومي(*)

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين, وأصلي و أسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد:

فإن الاستغفار من أكبر محطات التوقف الإيجابي في حياة العظماء الذين لا ينقطع رجائهم بالله تعالى ولا تنتهي علاقتهم به ولا يستمرون في خطئهم ونقصهم لكنهم سرعان ما يتذكرون فيرجعون إلى الله يلهج لسانهم دوما بالاستغفار حتى ولو لم يذنبوا أو يقصروا قدوتهم في ذلك النبي الأنام صلى الله عليه وسلم فإن لسانه كان دوما رطبا بذكر الله وباستغفاره لان الاستغفار زاد للعبد يستحق من خلاله رضوان الله وعطاءاته الدنيوية والأخروية.

إن الدعاة إلى الله بحاجة ماسة في أن يكون في حياتهم مساحات عالية للاستغفار لكونه ينظف القلب ويطهر اللسان ويقوي العمل ويصحح المسار بل يعين الداعية على الإثمار في مجال جذب المدعويين إلى ساحل النجاة والفضيلة.

الاستغفار يريد إلى الخير وإلى العودة إلى الله لأن المعاصي سبب لجميع البلايا والمصائب فإنه ما نزلت بليه إلا بذنب وما رفعت إلا بتوبة وندم واستغفار والداعية الناجح المؤمن هو الذي يدرك هذه الحقيقة

(*) بكارليوس من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٤هـ

- ماجستير من كلية الدعوة والإعلام بالجامعة نفسها عام ١٤٠٨هـ.

- دكتوراه من الكلية والجامعة نفسها عام ١٤٢٢هـ.

- يعمل الآن أستاذا مشاركا في كلية المعلمين بجامعة الملك سعود بالرياض.

رمضان - ذو الحجة ١٤٣٠هـ

الدرعية

السنة الثانية عشرة

نوفمبر ٢٠٠٩م - يناير ٢٠١٠م

العددان: السابع والثامن والأربعون

ليعفو الله عن السيئات ويرفع من خلاله الدرجات ومما لا يخفي فإن الاستغفار يعين الداعية لتكون دعوته مستجابة وبالاستغفار يأمن العبد غضب الجبار بل وتحصل بسببه مغفرة الذنوب.

وقد سعت جاهدا بفضل الله وتوفيقه على إيضاح هذه النقاط والمسائل مدعومة بالأدلة الشرعية لنسهم في ربط الدعاة والعاملين في مجال نفع الآخرين وعموم المثقفين ما ينبغي عليهم فعله إذ ما وقعوا في هنة أو رغبوا أن يترقوا في درجات الخير ومراتب الإيمان سائلا الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا وأن يعيدنا إلى صوابنا وأن يجعلنا ممن يفرغ إلى الاستغفار في كل حين وأن صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: مفهوم الاستغفار وعلاقته بالتوبة

١ - الاستغفار في اللغة:

من (غفر) يغفر غفرا، والغفر: التغطية قال الفيروزبادي: (غفره يغفره: ستره والمتاع في الوعاء: أدخله وستره: أغفره، والشيب بالخضاب: غطاه وغفر الله له ذنبه غفرا وغفره حسنه بالكسر ومغفرة غفورا وغفرانا بضمهما وغفيرا وغفيرة غطى عليه وعفا عنه واستغفره من ذنبه واستغفره إياه: طلب منه غفره والغفور والغفار: من صفات الله تعالى) (١)

وقال ابن فارس: (الغين والفاء والراء عظم بابه الستر ثم يشد عنه ما يذكر فالغفر: الستر والغفران

والغفر بمعنى يقال غفر الله ذنبه غفرا ومغفرة وغفرانا) (٢)

(١) أنظر: القاموس المحيط الفيروزبادي ٢ / ١٤٦، مادة (غفر)

(٢) أنظر: معجم مقاييس اللغة ابن فارس تحقيق عبد السلام محمد هارون ٤ / ٣٨٥ مادة: (غفر)

وقال الراغب الأصفهاني: (الغفر إلباس ما يصونه عن الدنس ومنه قيل: أغفر ثوبك في الوعاء وأصبغ ثوبك فإنه أغفر للوسخ والغفران والمغفرة من الله هو أن يصون العبد من أن يمسسه العذاب والاستغفار طلب ذلك بالمقال والفعال) (٣)

وفي المصباح المنير: (غفر الله له غفرا من باب ضرب وغفرانا: صفح عنه والمغفرة: اسم منه واستغفرت الله سألته المغفرة واغتفرت للجاني ما صنع وأصل الغفر: الستر ومنه يقال: الصبغ أغفر للوسخ أي: أستر) (٤)

ومن خلال ما سبق من كلام أهل اللغة اتضح بأن الاستغفار من الغفر بمعنى الستر والتغطية وهذا معنى اللفظ في أصله.

٢- الاستغفار في الشرع:

أما الاستغفار في الشرع فإنه أشمل وأكبر من مجرد الستر بل هناك معنى زائد على ذلك. وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله (الاستغفار من الغفران وأصله الغفر هو إلباس ما يصونه عما يدنسه وتدنيس كل شيء والغفران من الله للعبد أن يصونه عن العذاب) (٥)

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: (الاستغفار المفرد كالتوبة بل هو التوبة بعينها مع تضمنه طلب المغفرة من الله وهو محو الذنب وإزالة أثره ووقاية شره لا كما ظنه بعض الناس أنها الستر فإن الله يستر على من يغفر له ومن لا يغفر له ولكن الستر لازم مسماها أو جزؤه فدلالته عليه إما بالتضمن وإما بال لزوم.

(٣) المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني: تحقيق محمد سيد كيلاني، ص ٣٦٤

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير أحمد بن علي الفيومي، ص ٣٦٦ مادة (غفر).

(٥) فتح الباري: ابن حجر العسقلاني ١١ / ١٠٦

وحقيقتها وقاية شر الذنب ومنه المغفر لما بقي الرأس من الأذى والستر لازم لهذا المعنى وإلا فالعمامة لا تسمى مغفرا ولا القبع ونحوه مع ستره فلا بد في لفظ "المغفر" من الوقاية وهذا الاستغفار هو الذي يمنع العذاب في قوله تعالى:

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) (٦) فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَعْذِبُ مُسْتَغْفِرًا) (٧).

فالاستغفار شرعا هو طلب محو الذنب وإزالة أثره ووقاية شره (٨).

وزاد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا التعريف توضيحا حيث قال: (الاستغفار: طلب المغفرة، والمغفرة هي وقاية شر الذنب والمغفرة شيء زائد على الستر لأن المغفرة معناها وقاية شر الذنب بحيث لا يعاقب عليه العبد فمن غفر ذنبه لم يعاقب عليه وأما مجرد ستره فقد يعاقب عليه في الباطن ومن عوقب على الذنب باطنا أو ظاهرا فلم يغفر له وإنما يكون غفران الذنوب إذا لم يعاقب عليه العقوبة المستحقة بالذنب) (٩).

٣- العلاقة بين التوبة والاستغفار:

إن لفظ التوبة يقرن دائما بالاستغفار والاستغفار كذلك دائما يقرن بالتوبة وليبيان العلاقة بين التوبة والاستغفار فلا بد من بيان المراد بالتوبة.

(٦) سورة الأنفال: الآية: ٣٣

(٧) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. ابن القيم ١ / ٢٣١ - ٢٣٢

(٨) المرجع السابق ١ / ٢٣١

(٩) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية عبد الرحمن بن قاسم ١٠ / ٣١٧.

قال الراغب الأصفهاني: (التوب: ترك الذنب على أجل الوجوه وهو أبلغ وجوه الاعتذار فإن الاعتذار على ثلاثة أوجه أما أن يقول المعتذر لم أفعل, أو يقول: فعلت لأجل كذا أو فعلت وأساءت وقد أقلعت ولا رابع لذلك وهذا الرابع هو التوبة) (١٠).

التوبة: هي الإقلاع عن عمل ذنب والعزم على أن لا يعود إليه (١١)

وقيل: هي ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه والعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة (١٢).

قال ابن القيم رحمه الله: (هي الرجوع إلى الله بالتزام فعل ما يجب و ترك ما يكره) (١٣)

وقيل: هي الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب ثم القيام بكل حقوق الرب (١٤).

والتوبة النصوح قد اختلفت عبارات السلف في بيانها فمن ذلك (١٥): قول عمر ابن الخطاب وأبي

كعب رضي الله عنهما: (التوبة النصوح: أن يتوب من الذنب ثم لا يعود إليه كما لا يعود اللبن إلى الضرع).

وقول حسن البصري رحمه الله: (هي أن يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على أن لا يعود

فيه).

وقول الكلبي رحمه الله: (أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب, ويمسك بالبدن).

(١٠) أنظر: المفردات فر غريب القرآن: الراغب الأصفهاني: تحقيق محمد سيد كيلاني ص ٨٣, (مادة: توب)

(١١) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور ١١ / ٣١٧.

(١٢) المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني: تحقيق محمد سيد كيلاني ص ٨٣.

(١٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن القيم ١ / ٢٣٠.

(١٤) التعريفات الجرحاني: تحقيق عبد الرحمن عميرة, ص ٧٠.

(١٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن القيم ١ / ٥٤٥ , ٥٤٦.

وقول سعيد بن المسيب: رحمه الله (توبة نصوحا تنصحون بها أنفسكم) جعلها بمعنى ناصحة للتائب.

فالتوبة النصوح من الذنب هي توثيق العزم على أن لا يعود لمثله (١٦).

وعلى هذا فالتوبة والاستغفار لفظان يشتركان في المعنى فيعطي واحد منهما معنى الآخر وذلك عند افتراقهما أما عند الاقتران فإن لكل واحد منهما معنى خاصا.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: (والاستغفار يتضمن التوبة, والتوبة تتضمن الاستغفار وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق).

وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخاف في المستقبل من سيئات أعمال. فهنا ذنبان: ذنب قد مضى فالاستغفار منه طلب وقاية شره وذنب يخاف وقوعه فالتوبة العزم على أن لا يفعله والرجوع إلى الله يتناول النوعين: رجوع إليه ليقية شر ما مضى ورجوع إليه ليقية ما يستقبل من شر نفسه وسيئات أعماله.

فهاهنا أمران لا بد منهما: مفارقة شيء والرجوع إلى غيره فخصت "التوبة" بالرجوع و الاستغفار بالمفارقة وعند أفراد أحدهما يتناول الأمرين ولهذا جاء - والله أعلم - الأمر بهما مرتبا بقوله (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ) (١٧) فإنه الرجوع إلى طريق الحق بعد مفارقة الباطل.

(١٦) التعريفات الجرجاني: تحقيق عبد الرحمن عميرة ص ٧٠.

(١٧) سورة هود الآية: ٣.

وأيضا فالاستغفار من باب إزالة الضرر والتوبة طلب جلب المنفعة فالمغفرة أن يقيه شر الذنب والتوبة أن يحصل له بعد هذه الوقاية ما يحبه وكل منهما يستلزم الآخر عند إفراده (١٨)

وأفضل الاستغفار ما اقترن بع ترك الإصرار وهو حينئذ توبة نصوح (١٩).

وأما الإصرار وهو الاستقرار على المخالفة والعزم والمعاودة وذلك ذنب آخر لعله أعظم من الذنب الأول بكثير وهذا من عقوبة الذنب أنه يوجب ذنباً أكبر منه ثم الثاني ثم الثالث كذلك حتى يستحكم الهلاك (٢٠).

المبحث الثاني: دعوة القرآن الكريم والسنة النبوية إلى الاستغفار

دل كثير من النصوص الشرعية في الكتاب والسنة على ضرورة التزام الاستغفار والمداومة عليه وعدم تركه وأورد ذلك فيما يلي:

أولاً: دعوة القرآن الكريم إلى الاستغفار:

وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم في الحث على الاستغفار وفي ذلك دلالة واضحة على أهمية طلب العبد المغفرة من ربه ليستر عيوبه ويعفو عن سيئاته ويجنبه عقوبته فمن تلك الآيات الواردة في هذا الصدد:

١ - آيات ورد فيها التوجيه للنبي صلى الله عليه وسلم بطلب المغفرة من ربه جل وعلا لنفسه أو للمؤمنين من ذلك قوله تعالى: (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) (٢١)

(١٨) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن القيم ١ / ٢٣١ - ٢٣٢.

(١٩) جامع العلوم والحكم ابن رجب: تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس ٢ / ٤١٠

(٢٠) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن القيم ١ / ٢٣٨

(٢١) سورة غافر، الآية: ٥٥

قال الإمام الطبري رحمه الله: واستغفر لذنبك: أي سلة غفران ذلك وعفوه لك عنه (٢٢).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (قوله: " واستغفر لذنبك " هذا تهييج للأمة على الاستغفار) (٢٣)

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: (واستغفر لذنبك المانع لك من تحصيل فوزك وسعادتك

فأمره بالصبر فيه يحصل المحبوب وبالاستغفار الذي فيه دفع المحذور وبالتسبيح بحمد الله تعالى خصوصاً

(٢٤)

وقوله تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ

وَمَثْوَاكُمْ) (٢٥).

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في معنى الآية: (" واستغفر لذنبك " أي أطلب من الله

المغفرة لذنبك بأن تفعل أسباب المغفرة من التوبة والدعاء بالمغفرة والحسنات الماحية وترك الذنوب والعفو عن

الجرائم واستغفر للمؤمنين والمؤمنات فإنهم — بسبب إيمانهم — كان لهم حق على كل مسلم ومسلمة (٢٦)

وقال الشيخ أبو بكر جابر الجزائري رحمه الله في معنى الآية: (أي: فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي له

العبادة وتصلح له إلا الله الذي هو خالق كل شيء ومالكة واستغفر أي: أطلب من ربك المغفرة لك

وللمؤمنين والمؤمنات وهذا الكلام وإن وجهه للرسول صلي الله عليه وسلم فالمراد منه على الحقيقة أو بالأصالة

(٢٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري: تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ٢٠ / ٣٤٨.

(٢٣) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: تحقيق سامي بن محمد السلامة ٧ / ١٥١.

(٢٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: الشيخ عبد الرحمن السعدي: تحقيق عبد الرحمن اللويحق ص ٧٠٦.

(٢٥) سورة محمد الآية: ١٩

(٢٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: الشيخ عبد الرحمن السعدي: تحقيق عبد الرحمن اللويحق، ص ٧٥٣.

غيره صلى الله عليه وسلم فكأنما قال تعالى: يا عباد الله، أيها الناس والرسول على رأسكم أعلموا أنه لا إله

إلا الله واستغفروا لذنوبكم مؤمنين ومؤمنات) (٢٧)

وقوله تعالى: (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) (٢٨)

٢- آيات أثنى الله فيها على خيار عباده وذكر من أوصافهم بأنهم يستغفرون في الأسحار أي في آخر الليل

وذلك بعد عبادتهم لربهم ويرون أنهم مقصرون فيسألون الله المغفرة هذا في مثل قوله تعالى: (الصَّابِرِينَ

وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ) (٢٩).

وقوله تعالى: (وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) (٣٠)

٣- آيات وردت فيها دعوات صريحة من الله جل وعلا للذين ظلموا أنفسهم من عباده واقتربوا السيئات

تعلمهم وتخبرهم بأن باب المغفرة مفتوح وأن عفوه جل وعلا كبير يغفر لهم إذا استغفروا ثم يرحمهم ويرضى

عنهم.

قال تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ

الدُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ...) (٣١)

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره الآية: (أي إذا صدر منهم ذنب أتبعوه بالتوبة والاستغفار)

(٣٢)

(٢٧) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير. أبو بكر جابر الجزائري ٥ / ٨١ - ٨٢.

(٢٨) سورة النصر، الآية: ٣.

(٢٩) سورة آل عمران الآية: ١٧

(٣٠) سورة النازيات الآية: ١٨

(٣١) سورة آل عمران الآية: ١٣٥

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن رجلاً أذنب ذنباً فقال: رب إني أذنبت ذنباً فاغفره فقال الله عز وجل: عبدي عمل ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي ثم عمل ذنباً آخر فقال: رب إني عملت ذنباً فاغفره لي, فقال الله عز وجل: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به أشهدكم أني قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء" (٣٣)

وقال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) (٣٤)

وقال تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) (٣٥)

قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسير الآية: (يعني بذلك جل ثناؤه: ومن يعمل ذنباً — وهو السوء — أو يظلم نفسه بإكسابه إياها ما يستحق به عقوبة الله, ثم يستغفر الله يقول: ثم يتوب إلى الله بإنابته مما عمل من السوء وظلم نفسه ومراجعة ما يحبه الله من الأعمال الصالحة التي تمحو ذنبه وتذهب جرمه يجد الله غفورا رحيمًا يقول: يجد ربه ساترا عليه ذنبه بصفحه له عن عقوبة جرمه, رحيمًا به) (٣٦)

وقال تعالى: (أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (٣٧)

(٣٢) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: تحقيق سامي بن محمد سلامة ٢ / ١٢٣.

(٣٣) أخرجه البخاري, كتاب: التوحيد, باب: قول الله تعالى: (يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ) [سورة الفتح / ١٥] رقم ٥٧٠٧, ومسلم, كتاب: التوبة, باب: قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة, رقم ٢٧٥٨, من طريق إسحاق بن عبد الله به, وأحمد في المسند ٢ / ٢٩٦.

(٣٤) سورة النساء, الآية: ٦٤.

(٣٥) سورة النساء, الآية: ١١٠.

(٣٦) جامع البيان في تأويل أي القرآن — الطبري: تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ٧ / ٤٧٤ — ٤٧٥.

(٣٧) سورة المائدة, الآية: ٧٤.

٤ - آيات دعا فيها الأنبياء أقوامهم إلى الاستغفار مخبرين بوعد الله لهم بالمغفرة والرحمة وذلك في مثل قوله تعالى في خطاب نبي الله هود عليه السلام إلى قومه: (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُرْدِكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ) (٣٨).

وقوله تعالى على لسان نبيه شعيب عليه السلام لقومه: (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ) (٣٩).

وقوله تعالى: (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ) (٤٠).

وقوله تعالى على لسان نوح عليه السلام لقومه: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا) (٤١).

٥ - آيات ورد فيها استغفار الملائكة لأهل الأرض ليفوزوا بالمغفرة من ربهم عما يصدر منهم مما لا يليق بعظمة الله وكبريائه وذلك في مثل قوله تعالى: (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (٤٢).

وقوله تعالى: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) (٤٣).

(٣٨) سورة هود، الآية: ٥٢

(٣٩) سورة هود، الآية: ٩٠

(٤٠) سورة هود، الآية: ٣

(٤١) سورة نوح، الآية: ١٠

(٤٢) سورة الشورى، الآية: ٥

(٤٣) سورة غافر، الآية: ٧

فقد أشار الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله إلى ما علم الله عباده المؤمنين من أسباب تجلب لهم السعادة من غير ما عملته أياديهم فقال في شرحه لهذه الآية: (يخبر تعالى عن كمال لطفه تعالى بعباده المؤمنين وما فيض لأسباب سعادتهم من الأسباب الخارجة عن قدرهم من استغفار الملائكة المقربين لهم ودعائهم لهم بما فيه صلاح دينهم وأخروهم، "ويستغفرون للذين آمنوا" وهذا من جملة فوائد الإيمان فالمؤمن بإيمانه تسبب لهذا الفضل العظيم) (٤٤).

ثانياً: دعوة السنة النبوية إلى الاستغفار:

في السنة النبوية أحاديث متعددة وردت في شأن الاستغفار وهذا مما يدل على أهميته فقد كان نبي الهدى صلى الله عليه وسلم يهتم اهتماماً بالغاً بطلب المغفرة من ربه جل وعلا بالرغم من أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وفي ذلك تنبيه للأمة وتعليمها إذ كان عليه الصلاة والسلام لا يدع خيراً إلا ودل أمته عليه ولا شراً إلا حذرهما منه، فمن تلك الأحاديث:

١- عن الأغر المزني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مئة مرة) (٤٥).

قال العلامة محمد أشرف بن أمير العظيم أبادي رحمه الله: ("ليغان" بضم الياء بصيغه المجهول من الغين، وأصله الغيم لغة قال في النهاية: وغنيت السماء تغان إذا أظبق عليها الغيم وقيل الغين شجر ملتف

(٤٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - الشيخ عبد الرحمن السعدي، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، ص ٦٩٨ - ٦٩٩.

(٤٥) أخرجه مسلم كتاب: الذكر والدعاء، باب: استحباب الاستغفار والاستكثار منه رقم ٣٧٠٧.

أراد ما يغشاه من السهو الذي لا يخلو منه البشر لأن قلبه أبدا كان مشغولا بالله تعالى فإن عرض له وقتا ما عارض بشرى يشغله من أمور الأمة والملة ومصالحهما عد ذلك ذنبا وتقصيرا فيفزع إلى الاستغفار (٤٦).

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) (٤٧).

٣- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة : (رب أغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم) (٤٨).

٤- وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب (٤٩). قال في عون المعبود: (من لزم الاستغفار: أي عند صدور معصية وظهور بلية أو من داوم عليه فإنه في كل نفس يحتاج إليه ولذا قال: صلى الله عليه وسلم طوي لمن وجد في صحفاته استغفارا كثيرا "من كل ضيق": أي شدة ومحنة (مخرجا): أي طريقا وسببا يخرج إلى سعة ومنحة, "ومن كل هم": أي كل غم يهيمه (فرجا): أي خلاصا (ورزقه) حاللا طيبا, "من حيث لا يحتسب": أي لا يظن ولا يرجو ولا يخطر بباله والحديث مقتبس من

(٤٦) عون المعبود علي سنن أبي داود, شرف الحق العظيم أبادي, ص ٦٨٨.

(٤٧) أخرجه البخاري, كتاب: الدعوات, باب: استغفار النبي في اليوم والليلة رقم ٦٣٠٧.

(٤٨) أخرجه أبو داود كتاب: الصلاة, بابك في الاستغفار رقم ١٥١٦, والترمذي كتاب: الدعوات باب: ما يقول إذا قام من المجلس رقم ٣٤٣٤ عن ابن عمر وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم ٣٠٧٥.

(٤٩) أخرجه أبو داود, كتاب: الصلاة باب: في الاستغفار رقم ١٥١٨ عن ابن عباس وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته رقم ١٢٦٠١ وسلسلة الأحاديث الضعيفة رقم ٧٠٥.

قوله تعالى: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) (٥٠)(٥١)

٥- عن بلال بن يسار بن زيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم قال: سمعت أبي يحدثني عن جدي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "من قال استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر الله له وإن كان فر من الزحف (٥٢)

٦- وعن شداد بن أوس رضي الله عنه, عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك (وأنا) على عهدك ووعدك ما استطعت أبوء لك بالنعمة وأبوء لك بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. فإن قالها بعدما يصبح موقنا بها ثم مات كان من أهل الجنة وإن قالها بعد ما يمسي موقنا بها كان من أهل الجنة" (٥٣)

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: (قوله: "سيد الاستغفار" قال الطيبي: لما كان هذا الدعاء جامعاً لمعاني التوبة كلها استعير له اسم السيد, وهو في الأصل الرئيس الذي يقصد في الحوائج ويرجع إليه الأمور) (٥٤)

(١٠) سورة الطلاق, الآيتان: ٢ , ٣.

(١١) عون المعبود علي سنن أبي داود, محمد أشرف الحق العظيم أبادي, ص ٦٨٩.

(١٢) أخرجه أبو داود, كتاب: الصلاة باب: في الاستغفار رقم ١٥١٧ والترمذي ٣٥٧٧ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم ١٣٤٣.

(١٣) أخرجه البخاري, كتابك الدعوات, باب: أفضل الاستغفار رقم ٦٣٠٦.

(١٤) فتح الباري ابن حجر العسقلاني ١١ / ١٠٢.

وقال أيضا رحمه الله: (قال ابن أبي جمرة: جمع صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق له أن يسمى سيد الاستغفار ففيه الإقرار لله وحده بالإلهية والعبودية والاعتراف بأنه الخالق والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه والرجاء بما وعده به والاستعاذة من شر ما جني العبد على نفسه , إضافة النعماء إلى موحدها وإضافة الذنب إلى نفسه ورغبته في المغفرة واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا هو وفي كل ذلك الإشارة إلى الجمع بين الشريعة والحقيقة فإن تكاليف الشريعة لا تحصل إلا إذا كان في ذلك عون من الله تعالى) (٥٥).

وقال ابن رجب رحمه الله: (وأفضل أنواع الاستغفار: أن يبدأ العبد بالثناء على ربه ثم يثني بالاعتراف بذنبه ثم يسأل الله المغفرة كما في حديث شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم) (٥٦) فذكر حديث سيد الاستغفار هذا.

٧- وعن ثوبان رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنصرف من صلاته أستغفر ثلاثا وقال " اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام" قيل للأوزاعي وهو أحد رواة: كيف الاستغفار؟ قال يقول: استغفر الله, استغفر الله (٥٧).

٨- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول قبل موته "سبحان الله وبحمده, أستغفر الله وأتوب إليه" (٥٨).

(٥٥) فتح الباري ابن حجر العسقلاني ١١ / ١٠٣.

(٥٦) جامع العلوم والحكم ابن رجب: تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس ٢ / ٤١٢.

(٥٧) أخرجه مسلم, كتاب المساجد, باب: استحباب الذكر بيان صفته رقم ٥٩١.

(٥٨) أخرجه مسلم, كتاب المساجد, باب: ما يقال في الركوع والسجود رقم ٤٨٤.

٩- وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إنك لو ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي. يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأنتيك بقرابها مغفرة" (٥٩).

٢- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار فإن رأيتكن أكثر أهل النار" فقالت امرأة منهم جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار قال: "تكثرن اللعن وتكفرن العشير وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدي لب منكن" قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين؟ قال: "أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلي" (٦٠).

١١- عن حذيفة رضي الله عنه قال: (كان في لساني ذرب على أهلي لم أعده إلى غيره فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: (أين أنت من الاستغفار يا حذيفة؟ إني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة) (٦١).

١٢- وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: (كنا جلوسا فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما أصبحت غداة قط إلا استغفرت الله مائة مرة) (٦٢).

(٥٩) أخرجه الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده رقم ٣٥٤٠ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم ٢٨٠٥.

(٦٠) أخرجه مسلم كتاب: الإيمان، باب: بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله ككفر النعمة والحقوق رقم ٧٩.

(٦١) أخرجه أحمد في مسنده ٣٩٤/ ٥ رقم ٢٣٣٤، ٢٣٤٢١ والحديث صحيح لغيره أنظر: الموسوعة الحديثية ٣٨ / ٣٦٥، ٤١٩ وسلسلة الأحاديث الصحيحة الألباني رقم ١٢٧.

١٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لم أر أحداً أكثر أن يقول: أستغفر الله وأتوب إليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٦٣).

١٤- وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول "أجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا" (٦٤).

المبحث الثالث: أهمية الاستغفار وفوائده

أولاً: أهمية الاستغفار:

للاستغفار أهمية كبيرة تكمن في النقاط التالية:

١- الاستجابة لأمر الله تعالى حيث إن الله تعالى أمر عبادة به في آيات كثيرة في كتابه العزيز كما في مثل قوله تعالى (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ) (٦٥) وقوله تعالى: (وَأِنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ) (٦٦)، وغير ذلك من الآيات التي أمر الله فيها عباده بالاستغفار.

(٦٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٢٧١/٧ والنسائي في السنن الكبرى ١١٥/٦ وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ١٦٠٠.

(٦٣) أخرجه ابن حبان في صحيحة ٢٠٧/٣ والنسائي في السنن الكبرى ١١٨/٦.

(٦٤) أخرجه أحمد في مسنده ١٢٩/٦ رقم ٢٤٩٨٠ وابن ماجه كتاب: الأدب باب: الاستغفار رقم ٣٨٢٠ وضعفه الألباني في المشكاة رقم ٧٥٣٢ قال في الموسوعة الحديثية ٤١/٤٤٦: إسناده ضعيف لضعف علي بن زيد وهو ابن جدهان وبقيّة ثقات رجال الشيخين غير حماد ابن سلمه فمن رجال مسلم روى له البخاري تعليقاً.

(٦٥) سورة هود، الآية: ٩٠.

(٦٦) سورة هود، الآية: ٣.

٢- مداومة النبي صلى الله عليه وسلم على الاستغفار وقد ورد ذلك في بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم كان يستغفر ربه في اليوم أكثر من سبعين مرة كما في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) (٦٧) وكما في الحديث الذي رواه الآغر المزني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة" (٦٨) وذكر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنهم كانوا يعدون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مئة مرة فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة: " رب أغفر لي وتب على إنك أنت التواب الرحيم" (٦٩) هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإنما كان استغفاره صلى الله عليه وسلم شكرا لله وإعظاما لجلاله سبحانه وتعالى" (٧٠).

٣- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم من أسلم من صحابته حديث الاستغفار والدعاء فعن أبي مالك الأشجعي عن أبيه قال: (كان الرجل إذا أسلم علمه النبي الصلاة ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات: "اللهم أغفر لي وارحمني وأهديني وعافني وارزقني" (٧١).

(٦٧) أخرجه البخاري كتاب الدعوات, باب: استغفار النبي في اليوم واللييلة رقم ٦٣٠٧.

(٦٨) أخرجه مسلم كتاب: الذكر والدعاء باب: استحباب الاستغفار والاستكثار منه رقم ٣٧٠٧.

(٦٩) أخرجه أبو داود كتاب: الصلاة باب: في الاستغفار رقم ١٥١٦ والترمذي كتاب: الدعوات باب: ما يقول إذا قام من المجلس رقم ٣٤٣٤

عن ابن عمر وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم ٣٠٧٥.

(٧٠) أنظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم أبو الفضيل عياض اليحصي ١٩٨/٨.

(٧١) أخرجه مسلم, كتاب: الذكر والدعاء, باب: فضل التهليل والتسبي برقم ٢٧٩٧.

٤- أن الله جل وعلا أثنى على أوليائه وعباده الصالحين وذكر من أوصافهم أنهم يستغفرون وفي ذلك دليل على أهمية الاستغفار يقول جل شأنه: (الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ) (٧٢).

٥- أن النبي صلى الله عليه وسلم علمنا في الصلاة - وهي أفضل الأعمال بحمد الشهادتين - كثيرا من الاستغفار ففي دعاء الاستفتاح "اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب" (٧٣) وفي الركوع والسجود: "سبحانك اللهم وبحمدك اللهم أغفر لي" (٧٤) وبين السجدين: "رب أغفر لي" (٧٥) وقبل السلام: "اللهم أغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت" (٧٦) ولما سأله الصديق رضي الله عنه عن دعاء يدعو به في صلاته قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فأغفر لي مغفرة من عندك وارحمي إنك أنت الغفور الرحيم" (٧٧) كل هذا داخل الصلاة وقد علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نقول بعد السلام "أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله" (٧٨).

(٧٢) سورة آل عمران الآية: ١٧.

(٧٣) أخرجه البخاري، كتاب: الأذان، باب: ما يقول بعد التكبير رقم ٧٤٤ ومسلم كتاب: الذكر والدعاء، باب: الدعوات والتعوذ رقم ٥٨٩.

(٧٤) أخرجه البخاري، كتاب: الأذان، باب: الدعاء في الركوع رقم ٧٩٤ ومسلم، كتاب: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود رقم ٤٨٤.

(٧٥) أخرجه أبو داود، كتاب: الصلاة، باب: ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده رقم ٨٧٤، والنسائي، كتاب: التطبيق، باب: ما يقول في قيامه ذلك رقم ١٠٦٩ وابن ماجه كتاب: إقامة الصلوات والسنة فيها، باب: ما يقول بين السجدين رقم ٨٩٧ وأحمد في مسنده ٣٩٨/٥، وصححه الألباني مشكاة المصابيح برقم ١٢٠٠.

(٧٦) أخرجه البخاري، كتاب: الدعوات، باب: اللهم أغفر لي ما قدمت وما أخرت رقم ٦٣٦٨، ومسلم كتاب: الذكر والدعاء، باب: في الأدعية رقم ٢٧١٩.

(٧٧) أخرجه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب: الدعوات والتعوذ رقم ٢٧٠٥.

(٧٨) أخرجه مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته رقم ٥٩١ عن ثوبان.

٦- الاستغفار من الأسباب التي تحصل بها المغفرة فقد استنتج الحافظ ابن رجب رحمه الله الأسباب التي تحصل بها مغفرة الذنوب للعبد المسلم من الحديث القدسي المروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إنك لو ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي يا ابن آدم بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي . يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة" (٧٩). وأهم الأسباب هي:

١- الدعاء مع الرجاء فإن الدعاء مأمور به وموعود عليه بالإجابة كما قال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (٨٠).

فإنه من أعظم أسباب المغفرة أن العبد إذا أذنب ذنبا لم يرج مغفرته من غير ربه ويعلم أنه لا يغفر الذنوب ويأخذ بها غيره.

٢- الاستغفار ولو عظمت الذنوب وبلغت الكثرة عنان السماء وهو السحاب وقيل ما أنتهي إليه البصر منها.

٣- التوحيد، وهو السبب الأعظم فمن فقد المغفرة ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة , قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) (٨١)(٨٢)

(٧٩) أخرجه الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده رقم ٣٥٤٠ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم ٢٨٠٥.

(٨٠) سورة غافر الآية: ٦٠.

(٨١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٨٢) للاستزادة أنظر: جامع العلوم والحكم ابن رجب تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس ٤٠٢/٢.

ثانياً: فوائد الاستغفار:

إن من كمال نعمة الله وسعة رحمته أن جعل لعباده طريقاً يرجعون به عن ذنوب اقترفوها وآثام ارتكبوها وما من عبد إلا وهو معرض لارتكاب الذنوب صغيرة كانت أو كبيرة إما بتركه لما أمره الله به أو فعله لما نهاه عنه وذلك من سنن الله له فيها حكمة بالغة ليميز الخبيث من الطيب كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم في الحديث: "لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم" (٨٣) وكل بني آدم خطاء وخير الخطاءين التوابون (٨٤).

فلاستغفار سبيل وضعه الله لعباده للعود إليه بعد الذنب ليعفو عن سيئاتهم ويقيهم شر عقوبتها ويوفقهم لفعل الحسنات فيتبين إذن أن الاستغفار له نتائج حسنة وفوائد طيبة يمكن ذكر بعضها:

١- أن الاستغفار يجلب الرحمة يدل على ذلك قوله تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) (٨٥).

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في شرحه لهذه الآية: (أي من تجرأ على المعاصي واقتحم على الإثم ثم استغفر الله استغفاراً تاماً يستلزم الإقرار بالذنب والندم عليه والإقلاع والعزم على ألا يعود فهذا قد وعده من لا يخلف الميعاد بالمغفرة والرحمة فيغفر له ما صدر منه من الذنب ويزيل عنه ما ترتب

(٨٣) أخرجه مسلم، كتاب: التوبة، باب: سقوط الذنوب بالاستغفار توبة رقم ٢٧٤٩.

(٨٤) أخرجه ابن ماجه كتاب: الزهد، باب: ذكر التوبة رقم ٤٢٥١ والحاكم في المستدرک ٢٧٢/٤، والدرامي في سنته ٣٩٢/٢ وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه برقم ٣٤٢٨.

(٨٥) سورة النساء، الآية: ١١٠.

عليه من النقص والعيب ويعيد إليه ما تقدم من الأعمال الصالحة ويوفقه فيما يستقبله من عمره ولا يجعل ذنبه حائلا عن توفيقه لأنه قد غفره وإذا غفره غفر ما غفر ما يترتب عليه (٨٦).

وقوله تعالى في خطاب شعيب عليه السلام لقومه: (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ) (٨٧).

قال العلامة محمد جمال الدين ألقاسمي رحمه الله في تفسيره هذه الآية: (استغفروا ربكم "أي من عبادة الأصنام ثم توبوا إليه أي بالتوحيد أو بالرجوع عن البخس والتطفيف" إن ربي رحيم" أي للمستغفرين التائبين" ودود أي مبالغ في المحبة لهم) (٨٨)

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: ("إن ربي رحيم ودود" لمن تاب وأناب، يرحمه فيغفر له ويتقبل توبته ويحبه ومعنى الودود من أسمائه تعالى أنه يحب عباده المؤمنين ويحبونه فهو "فعل" بمعنى "فاعل" ومعنى "مفعول") (٨٩)

وقال الشيخ أبو بكر جابر الجزائري رحمه الله: (واستغفروا ربكم مما أنتم عليه من الشرك والمعاصي ثم توبوا إليه بالطاعة" إن ربي رحيم" لا يعذب من تاب إليه ودود يحب من أناب إليه) (٩٠)

٢- أن الاستغفار سبب لفتح أبواب الخيرات والبركات على الناس، يفيد ذلك قوله جل وعلا على لسان نبي الله هود عليه السلام لقومه: (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ

(٨٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. الشيخ عبد الرحمن السعدي، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، ص ١٦٤.

(٨٧) سورة هود، الآية: ٩٠.

(٨٨) محاسن التأويل، ألقاسمي ١٦٤/٩.

(٨٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. الشيخ عبد الرحمن السعدي، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، ص ٣٦٤.

(٩٠) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: أبو بكر جابر الجزائري ٥٧٣/٢.

قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ... (٩١). وقوله جل وشأنه على لسان نوح عليه السلام لقومه: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَبَثَّرَ بِمُؤْمِنِكُمْ أَمْوََالَ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) (٩٢).

قال الشيخ أبو بكر جابر الجزائري رحمه الله في ذكر هداية الآيات: (استنبط بعض الصالحين من هذه الآية أن من كانت له رغبة في مال أو ولد فليكثر من الاستغفار الليل والنهار ولا يمل يعطه الله تعالى مراده من المال والولد) (٩٣).

٣- أن الاستغفار سبب لتفريج الهم وتيسير الرزق وتسهيله قال عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: "من لزم الاستغفار جعل الله من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب" (٩٤).

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره لآية هود السابقة: (ومن اتصف بهذه الصفة (أي الاستغفار) يسر الله عليه رزقه وسهل عليه أمره وحفظ شأنه) (٩٥).

٤- الاستغفار دليل على اعتراف العبد بتقصيره في حقوق مولاه ومن علامات رجوعه إليه قبل أخذه إياه بذنوبه وقد تبين ذلك في سيد الاستغفار في قول العبد: "... وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت" (٩٦) وقوله: "وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت..." قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (قال

(٩١) سورة هود، الآية: ٥٢

(٩٢) سورة نوح، الآيات: ١٠-١٢.

(٩٣) المرجع السابق ٤٤٢/٥.

(٩٤) أخرجه أبو داود، كتاب: الصلاة، باب: في الاستغفار رقم ١٥١٨ عن ابن عباس، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته رقم ١٢٦٠١ وسلسلة الأحاديث الضعيفة رقم ٧٠٥.

(٩٥) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، تحقيق سامي بن محمد السلامة ٤٩٢/٢.

(٩٦) أخرجه البخاري، كتاب: الدعوات، باب: أفضل الاستغفار رقم ٦٣٠٦.

الخطابي في قوله: "ما استطعت": واشترط الاستطاعة في ذلك معناه: الاعتراف بالعجز والقصور عن كنه الواجب من حقه تعالى (٩٧) وقال ابن بطال أيضا: (وفي قوله "ما استطعت" إعلام لأتمته أن أحدا لا يقدر على الإتيان بجميع ما يجب عليه ولا الوفاء بكمال الطاعات والشكر على النعم فرفق الله بعبادة فلم يكلفهم من ذلك إلا وسعهم) (٩٨).

٥- الاستغفار نوع من أنواع الذكر، والذكر من أجل العبادات القولية حث الله عليه في مواضع شتى في كتابه العزيز في مثل قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا) (٩٩).

٦- أن الاستغفار يعين العبد على أن تكون دعوته مستجابة، حيث جعل الاستغفار من آداب الدعاء التي ينبغي أن يقدمها الداعي قبل التوجه بطلبه إلى ربه جل وعلا.

قال ابن حجر في شرحه لأحاديث باب التوبة: (أشار المصنف - أي البخاري - بإيراد هذين البابين - وهما الاستغفار ثم التوبة - في أوائل كتاب الدعاء إلى أن الإجابة تسرع إلى من لم يكن متلبسا بالمعصية فإذا قدم التوبة والاستغفار قبل الدعاء كان أمكن لإجابته وما ألفت قول ابن جوزي إذ سئل أسبغ أو أستغفر فقال: الثوب أحوج إلى الصابون من البخور) (١٠٠).

٧- بسبب الاستغفار يقبل الرب على عبده ويفرح بفعله ويرضى به قال صلى الله عليه وسلم: (لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلا و به مهلكه ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام فاستيقظ

(٩٧) فتح الباري. ابن حجر العسقلاني ١٠٢/١١.

(٩٨) المرجع السابق ١٠٣/١١.

(٩٩) سورة الأحزاب، الآية: ٤١.

(١٠٠) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٦/١١.

وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش فقال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده عليها زاده طعامه وشرابه فאלله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده" (١٠١).

٨- أن الاستغفار أمان من غضب الجبار وعقابه قال تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) (١٠٢).

٩- أنه سبب لدفع المصائب قبل نزولها ورفعها بعد نزولها فقد تقرر بأن وقوع المصائب والبلايا بسبب الذنوب وإذا استغفر العباد ربهم وتابوا إليه توبة نصوحا من ذنوبهم فإن الرب جل وعلا يقبل التوبة ويرفع تلك المصائب النازلة بسبب الاستغفار وقد يكون الاستغفار دافعا للمصائب فلا تنزل بالعباد أساسا إذ لازموا الاستغفار, قال تعالى: (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا) (١٠٣).

١٠- بالاستغفار تحصل مغفرة الذنوب من رب العزة جل وعلا والمغفرة وقاية شر الذنب حتى لا يعاقب العبد بذنبه وليس مجرد الستر (١٠٤), وقال تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) (١٠٥) وقال تعالى: (أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (١٠٦).

(١١) أخرجه البخاري, كتاب: الدعوات, باب: التوبة, رقم ٦٣٠٨ عن ابن مسعود.

(١٢) سورة الأنفال: الآية: ٣٣

(١٣) سورة النساء, الآية: ١٤٧.

(١٤) أنظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية عبد الرحمن بن قاسم ٣١٧/١٠.

(١٥) سورة النساء, الآية: ١١٠.

(١٦) سورة المائدة, الآية: ٧٤

١١ - الاستغفار يورث العبد دخول الجنة ففي الحديث سيد الاستغفار "ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة و من قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة" (١٠٧).

١٢ - أنه يجعل العبد مما يذكرون عند الرب جل وعلا فالاستغفار نوع من أنواع الذكر وإذا داوم العبد عليه فإنه يدخل فيمن يشملهم الوعد الكريم من الرب الرحيم في قوله (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) (١٠٨) وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: "إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي..." (١٠٩).

المبحث الرابع: حاجة الدعاة إلى الاستغفار

إن الدعاة إلى دين الله في أداء مهماتهم الصعبة في حاجة إلى عون الله وتوقيه كي تتحقق لهم النتائج المرجوة وهي هداية الناس وبلوغ هذا الدين مشارق الأرض ومغاربها فمهمة الدعاة هي مهمة أنبياء الله ورسله عليهم السلام وقد طلب كل من هؤلاء الأنبياء والرسل عليهم السلام من ربه العون والتوفيق وكل ما يمهّد لهم الطريق لأداء مهمتهم تجاه أقوامهم حتى يتحقق لهم النصر فلما كانت مهمة الدعاة إلى الله هي نفس مهمة الأنبياء والرسل عليهم السلام كان لابد لهم من الاجتهاد في طلب ما يعينهم على أداء الواجب المناط بأعناقهم وقد فعل ذلك قبلهم من هم خير منهم وأقرب إلى الباري جل وعلا.

يقول ابن رجب رحمة الله: (وأما الاستغفار من الذنوب فهو طلب المغفرة والعبد أحوج شيء إليه لأنه يخطئ بالليل والنهار وقد تكرر في القرآن ذكر التوبة والاستغفار والأمر بهما والحث عليهما لحديث أنس

(١٠٧) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب: أفضل الاستغفار رقم ٦٣٠٦.

(١٠٨) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(١٠٩) أخرجه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، والاستغفار، باب: الحث على ذكر الله، رقم ٢٦٧٥.

بن مالك رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون" (١١٠)(١١١).

فالاستغفار وسيلة من الوسائل وطريقة من الطرق التي بها يتوفر عون الله للداعية ويحالفه التوفيق في أعماله فيحتاج إلى التوفيق من اله ليهتدي هو بنفسه لما يرضي الله جل وعلا في القول والعمل كما يحتاج إلى الإعانة من الله تعالى لكي تحصل لدعويته هداية التوفيق التي لا يملكها أحد كائنا من كان إلا الله جل شأنه. والمرء المسلم في أثناء استغفاره ربه يعترف بذنوبه ويظهر عجزه وتقصيره ويعلن لربه جل وعلا بأنه لا يملك تدبير شيء من دينه ودنياه فكل هذا التذلل والانكسار والخضوع يجلب عون الله لعبده لأنه حقيقة التبع لله جل وعلا.

ولهذا الأمر ولغيره من الأسباب الأخرى أوردتها لحاجة الداعية إليها:

١- إن العاصي يقع بسبب معصيته في قبضة الشيطان وأسرره والاستغفار بمثابة سبيل من سبل الخلاص من قبضة الشيطان فالداعية الكريم الذي ينير الطريق للناس ويرشدهم أولى الناس بمعرفة وسائل وطرق الخلاص من قبضة الشيطان وأسرره فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن إبليس قال لربه: بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم فقال الله: فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني" (١١٢).

(١١٠) أخرجه الترمذي، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، باب (٤٩) رقم ٢٤٩٩، وابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: ذكر التوبة رقم ٦٢٥١، عن أنس بن مالك وحسنه الألباني صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته رقم ٨٦٤٤.

(١١١) جامع العلوم والحكم ابن رجب: تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس ٤١/٢.

(١١٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢٩/٣، والحاكم في المستدرک ٢٩٠/٤ عن أبي سعيد الخدري وصححه الحاكم ووافقه الذهبي في التلخيص وقال في الموسوعة الحديثية ٣٣٧/١٧: حديث حسن.

٢- إن الداعية هو الذي يعلم الناس منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حياته ليقتدوا به صلى الله عليه وسلم في عباداتهم ومعاملاتهم وقد أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم الإكثار من الاستغفار في المجالس فحري بالداعية الكريم أن يكون أول من يحتذي بهذا الرسول ويعود نفسه منهجه القويم لكي يتمكن من تعليم غيره ويكون قدوة حسنة للمدعوين فحاجته إلى الاستغفار إذن حاجة ماسة.

٣- إن الداعية أحوج الناس إلى معرفة الله ومعرفة الله جل وعلا لن تتأتى إلا بالعلم والإيمان وقد تقرر لدى العلماء العارفين بأن المعاصي من ضررها وقبحها أنها تحرم المرء من العلم إذ إن العلم نور فتحجبه عن معرفة الله تعالى ويفنون عليه سعادة الدنيا والآخرة فيحدر بالداعية إذن أن يلازم الاستغفار ليغفر الله له ذنوبه حتى يعرف ربه حق المعرفة بالعلم النافع والإيمان القوي.

٤- كم من قول أو فعل صدر من الداعية إلى الله في أثناء ممارسة العمل الدعوي قد يكون من الأخطاء فقد يحكم بجرمة شيء ما للمدعو يكون حكمه في الصحيح حلالا وقد يحصل العكس كما يمكن أن يسبقه لسانه فيتلفظ بشيء يحرم عليه التلفظ به فكل هذا يتطلب منه بل يوجب عليه أن يداوم على الاستغفار. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن العبد ليتكلم بالكلمة، أبعد ما بين المشرق والمغرب" (١٣).

(١٣) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: حفظ اللسان، رقم ٦٤٧٧، ومسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب: التكلم بالكلمة يهوى بها في الناس، رقم ٢٩٨٨.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات, وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوى بها في جهنم" (١١٤).

قال النووي رحمه الله: (قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهزى بها في النار" معناه: لا يتدبرها ويفكر في قبورها ولا يخاف ما يترتب عليها وهذا كالكلمة عند السلطان وغيره من الولاة وككلمة القذف أو معناه كالكلمة التي يترتب عليها إضرار مسلم ونحو ذلك وهذا كله حث على حفظ اللسان... وينبغي لمن أراد النطق بكلمة أو كلام أن يتدبره في نفسه قبل نطقه فإن ظهرت مصلحته تكلم وإلا أمسك) (١١٥).

والمقصود أنه ينبغي للداعية الإكثار من الاستغفار ليغفر الله له زلاته ويعفو عما قد ينطق به لسانه من الشر فيحسب عليه وهو لا يلقي له بالا.

٥- إن الاستغفار يعلم الداعية الصبر مع المدعويين والرحمة بهم والشفقة عليهم فإنه إذا لزم الاستغفار موقنا بأن الله يغفر له ذنوبه ويتوب عليه يدرك في أثناء ذلك رحمة الله وشفقته على المذنبين إذا أساءوا إليه بإتيان ما نهاهم عنه أو ترك ما أمرهم به أو تجاوز حدوده ومع ذلك كله فتح لهم مجال الاستغفار والتوبة لكي يعفو عنهم ويوفقهم لفعل الخير فالداعية تمس بحاجته إلى الاستغفار ليتعلم هذه الدروس ويعتبر بهذه العبر.

(١١٤) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: حفظ اللسان، رقم ٦٤٧٨.

(١١٥) شرح صحيح الإمام مسلم، النووي ١١٢/٩.

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ) (١١٦).

قال الحسن البصري معلقاً على هذه الآية الكريمة: (انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أوليائه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة) (١١٧).

٦- إن أقصى غاية يسعى إليها العبد في هذه الحياة هي دخوله الجنة ونجاته من النار وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: حولها نذندن" (١١٨) وسؤال الله مغفرة الذنوب ليغفر له سبيل الوصول إلى تلك الغاية المذكورة فالداعية إلى دين الله من أرغب الناس في دخول جنة ربه و أحرصهم على غيره للفوز بها فهو إذن محتاج إلى الاستغفار.

قال تعالى في إخبار عباده بأن كل ما يحصل لهم من المصائب، فإن بأفعاله: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) (١١٩).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: (أي: مهما أصابكم أيها الناس من المصائب: فإنما هو عن سيئات تقدمت لكم ويعفو عن كثير من السيئات فلا يجازيكم عليها بل يعفو عنها) (١٢٠).

(١١٦) سورة البروج، الآية: ١٠.

(١١٧) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، تحقيق سامي بن محمد السلامة ٣٧١/٨ وأنظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان الشيخ عبد الرحمن السعدي تحقيق عبد الرحمن اللويحق، ص ٨٧٨.

(١١٨) أخرجه أبو داود، كتاب: الصلاة، باب: في تخفيف الصلاة، رقم ٧٩٢، وابن ماجه، كتاب: إقامة الصلوات والسنة فيها، باب: ما يقال بعد التشهد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم رقم ٩١٠، عن أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم ٥٤٧٤.

(١١٩) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(١٢٠) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق سامي بن محمد السلامة ٢٠٧/٧.

وقال العلامة عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي رحمه الله: (وما أصابكم من غم وألم مكروه فبجناية كسبتموها عقوبة عليكم ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليه أو عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة).

وقال ابن عطاء: من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه وأن ما عفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر في إحسان ربه إليه.

وقال محمد بن حامد: العبد ملازم للجنايات في كل أوان وجناياته في طاعته أكثر من جناياته في معاصيه لأن جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجه والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله في القيامة ولولا عفو ورحمته لهلك في أول خطوة (١٢١).

والمقصود هنا أن المعاصي سبب لجميع البليات والمصائب ولذا قال بعض اللغويين ما نزلت بلية إلا بذنب وما رفعت إلا بتوبة.

فإذا أدرك الداعية هذه الحقيقة أكثر من الاستغفار ليعفو الله عن سيئاته ويفوز بسعادة الدارين.

المبحث الخامس: أثر الاستغفار على الدعاة إلى الله تعالى وثمراته

إن التزام الدعاة إلى الله تعالى بالاستغفار له كثير من الآثار الطيبة والثمرات النافعة ومن أبرز ذلك:

١ - الالتزام بمنهج الأنبياء والصالحين:

إن الأنبياء كانوا أشد الناس اجتهادا في العبادة لما أعطاهم الله تعالى من المعرفة (١٢٢) إذ كلما كان العبد أعرف بربه كان أتقى له وأكثر تعبدا فهم عليهم السلام دائبون في شكره معترفون له بالتقصير (١٢٣)

(١٢١) تفسير النسفي المسمى: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ص ١٠٨٩.

فهم في كل حال من أحوالهم يلزمون الاستغفار ويدأومون عليه مع أنهم معصومون من الذنوب كبيرة أو صغيرة، كل ذلك مبالغة منهم عليهم السلام في شكر ربهم على نعمه واعترافا منهم بالعجز والقصور عن كنه الواجب من حقه تعالى (١٢٤).

وعلى هذا المنهج الذي سار عليه الأنبياء والرسل عليهم السلام أحد الأولياء والصالحون من أمهم يسيرون عليه مقتدين بأولئك الأنبياء والرسل عليهم السلام.

فقد أمر الله أنبياءه ورسله بالاستغفار فداوموا عليه ولازموه وعلموا أمهم الاستغفار ودعوههم إليه. وهذا هود عليه السلام يدعو قومه قائلا: (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ) (١٢٥).

وكذلك نادي صالح عليه السلام قومه قائلا: (فَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ) (١٢٦) وقال شعيب عليه السلام لقومه: (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ) (١٢٧). وقال نوح عليه السلام لقومه: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا) (١٢٨).

ولأهمية الاقتداء أمر الله عز وجل نبيه أن يلزم نهج الأنبياء السابقين قال الله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) (١٢٩).

(١٢٢) فتح الباري. ابن حجر ١٠٥/١١.

(١٢٣) المرجع السابق ١٠٥/١١.

(١٢٤) المرجع السابق ١٠٢/١١.

(١٢٥) سورة هود، الآية: ٥٢.

(١٢٦) سورة هود، الآية: ٦١.

(١٢٧) سورة هود، الآية: ٩٠.

(١٢٨) سورة نوح، الآية: ١٠.

قال ابن كثير رحمه الله: (قال تعالى مخاطبا عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم: (أُولَئِكَ) يعني: الأنبياء المذكورين مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والأخوان وهم الأشباه (الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ) أي: هم أهل الهداية لا غيرهم, (فَبِهَذَا هُمْ أَقْتَدِرُوا) أي: أقتد واتبع وإذا كان هذا الأمر للرسول صلى الله عليه وسلم فأتمته تبع له فيما يشرعه لهم ويأمرهم به) (١٣٠).

وأمر الله تعالى سيد الأنبياء وأفضل ولد آدم أجمعين بالاستغفار فقال: (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) (١٣١).

وقال تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) (١٣٢), وقال تعالى: (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) (١٣٣).

كما أعلن صلى الله عليه وسلم لأتمته فوائد الاستغفار ودعاهم إليها في أحاديثه الشريفة في مثل قوله صلى الله عليه وسلم: إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة" (١٣٤).

١- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "إن كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس مائة مرة رب أغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور" (١٣٥).

(١٢٩) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

(١٣٠) تفسير القرآن العظيم ابن كثير: تحقيق سامي بن محمد السلامة ٢٩٩/٣.

(١٣١) سورة غافر، الآية: ٥٥.

(١٣٢) سورة محمد الآية: ١٩.

(١٣٣) سورة النصر، الآية: ٣.

(١٣٤) أخرجه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب: استحباب الاستغفار والاستكثار منه رقم ٣٧٠٧.

(١٣٥) أخرجه أبو داود، كتاب: الصلاة، باب: في الاستغفار رقم ١٥١٦ والترمذي كتاب: الدعوات باب: ما يقول إذا قام من المجلس رقم ٣٤٣٤ عن ابن عمر وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم ٣٠٧٥.

٢- وروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستغفر بالأسحار سبعين استغفاره (١٣٦).

٣- ويروي عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه: (يا بني عود لسانك: اللهم أغفر لي فإن الله ساعات لا يرد فيها سائلا) (١٣٧).

٤- وقال أبو هريرة رضي الله عنه: (إني لاستغفر الله وأتوب إليه كل يوم ألف مرة وذلك على قدر ديني) (١٣٨).

٥- وروى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يحيي الليل صلاة ثم يقول "يا نافع أسحرنا؟ فيقول: لا، فيعاود الصلاة ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فيقول: نعم فيقعد فيستغفر ويدعو حتى يصبح" (١٣٩).

٦- وقال الحسن رحمه الله: (أكثرُوا من الاستغفار في بيوتكم وعلى موائدكم وفي طرقكم وفي أسواقكم وفي مجالسكم أينما كنتم فإنكم ما تدرون متى تنزل البركة) (١٤٠).

٧- وروى عن إبراهيم بن حاطب عن أبيه قال: سمعت رجلا في السحر في ناحية المسجد وهو يقول: رب أمرني فأطعتك وهذا سحر فأغفر لي فنظرت فإذا هو ابن مسعود رضي الله عنه (١٤١).

(١٣٦) أخرجه الطبراني في المعجم الوسيط ١٨٣/٩ وأبن جرير في تفسيره وأبن مردويه في تفسير ابن كثير.

(١٣٧) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ٥٢٠/٦.

(١٣٨) حلية الأولياء، الأصبهاني ٣٨٣/١.

(١٣٩) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣٦٠/١٢ وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣٠٤/١ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٧٩/٩ رواه الطبراني ورجاله ثقات رجال الصحيح غير أسد بن موسى وهو ثقة.

(١٤٠) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤٤٣/١.

(١٤١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٠٤/٩ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٣٨/١٠ رواه الطبراني وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الكوفي وهو ضعيف.

- ٨- وقال أبو المنهال: (ما جاور عبد في قبره من جار أحب إليه من استغفار كثير) (١٤٢).
- ٩- وقال أبو قتادة: (إن هذا القرآن يدلکم على دأئکم ودوائکم فأما دأؤکم: الذنوب, وأما دواؤکم: فالاستغفار) (١٤٣).
- ١٠- وقال رباح القيسي: (لي نيف وأربعون ذنبا, قد استغفرت الله لكل ذنب مئة ألف مرة) (١٤٤).
- ١١- وروى أبو نعيم في الحلية أن عمر بن عبد العزيز خطب فقال: (أيها الناس من ألم بذنب فليستغفر الله وليتب فإن عاد فليستغفر الله وليتب فإن عاد فليستغفر الله وليتب فإنما هي خطايا مطوقة في أعناق الرجال وإن الهلاك كل الهلاك الإصرار عليها) (١٤٥).
- ١٢- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (شهادة التوحيد تفتح باب الخير, والاستغفار يغلق باب الشر) (١٤٦).
- وقال أيضا رحمه الله: (إنه ليقف خاطري في المسألة والشيء أو الحالة التي تشكل على فأستغفر الله تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل حتى ينشرح الصدر وينحل إشكال ما أشكل وقد أكون ذاك في السوق أو المسجد أو المدرسة لا يمنعني ذلك من الذكر والاستغفار إلى أن أنال مطلوبي) (١٤٧).

(١٤٢) الزهد, الإمام أحمد بن حنبل ١/٣٢٨.

(١٤٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤٢٧/٥ وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب ٢٥١/١ رقم ١٠٠١.

(١٤٤) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٩٤/٦.

(١٤٥) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢٩٦/٥.

(١٤٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية عبد الرحمن بن قاسم ١٠/٢٥٦.

(١٤٧) العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامه المقدسي رحمه الله ٢٢.

وما من شك أن الداعية الملتزم بالاستغفار يكون سائرا على منهج الأنبياء والصالحين وهذا له أثره الطيب على الدعوة إلى الله تعالى.

٢- تحقيق القدوة الحسنة للمدعوين:

ومع حرص الداعية على الاستغفار يعطي دروسا عملية للمدعوين في أهمية ملازمة الاستغفار والحرص عليه.

(ولا يخفي أبدا أثر القدوة فهي الصورة الحية للفكرة والتطبيق العملي للدعوة والتوضيح الجلي للحجة ولا شك أنها من أعظم أسباب بذر المحبة في القلوب ووجود القناعة في العقول وكثير من المدعوين ينتفعون بالسيرة الحسنة، ولا سيما العامة وأرباب العلوم القاصرة فإنهم ينتفعون من السيرة والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة مالا ينتفعون من الأقوال التي قد لا يفهمونها(١٤٨)).

قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: "إن صلاح المؤمن هو أبلغ خطبة تدعو الناس إلى الإيمان وخلقه الفاضل هو السحر الذي يجذب إليه الأفئدة ويجمع عليه القلوب وإن الداعية الموفق الناجح هو الذي يهدي إلى الحق بعمله وإن لم ينطق بكلمه لأنه مثل حي متحرك للمبادئ التي يعتنقها وأن تناقض الفعل والقول هو أخطر شغب يمس قضايا الإيمان ويصيبها في الصميم ولا يكفي - لكي يكون المرء قدوة - أن يتظاهر بالصالحات، أو يتحمل للأعين الباحثة؛ فإن التزوير لا يصلح في ذلك الميدان وإن التدين الحقيقي صورة لجوهر النفس بعدما استكانت لله ونزلت على أمره واصطبغت بالفضائل التي شرعها وترفعت عن الرذائل التي حرمها واستقامت على ذلك استقامة تامة هذا التدين وحده هو الذي تلمس منه الأسوة ويقتبس منه الهدى

(١٤٨) مقومات الداعية الناجح على عمر بادحدح - ط ٢ - جدة: دار الأندلس الخضراء، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥، ص ٣٢.

ومن ثم نرى لزاما علينا التوكيد بأن القدوة ودها وما يبعث على الاقتداء من إعزاز وإعجاب هما السبيل الممهد لنشر الدعوة في أوسع نطاق" (١٤٩).

إن سلوك الداعية الناصح هو الصورة الحية لما يدعو الناس إليه وإنه يكسب لدعوته بسلوكه أكثر مما يكسبه بمواعظه وكلامه فينبغي أن يكون ناصحا بحاله قبل أن يكون ناصحا بمقاله وإلا كان عقبه كؤودا في طريق الدعوة.

إن الباحث في سير الدعاة يلاحظ أنهم كانوا تأثيرا في الناس بسلوكهم وثبات أخلاقهم على كل الأحوال فعين الجمهور فاحصة ومنطقة الأفعال أقوى في الإقناع وإن القدوة الحسنة لا يعدلها شيء في حسن التأثير فالكلام - والبراعة فيه - صفة سهلة يجيدها الخيرون كما يجيدها المشعوذون والكذابون على السواء ويعرف سبيلها المخلصون والمنافقون ولذا كان أول ما يجب أن تنصرف إليه همة الداعية هو إصلاح نفسه وتعهدها بالتدريب والتهذيب فإن أنس منها خيرا أمكنه أن ينطلق برسالته إلى الآخرين" (١٥٠).

إن موافقة أخلاق الداعي لمضمون دعوته يؤكد مضمون الدعوة ويقويه في نفوس المدعوين ولأتباع فإنه يكون مثالا حيا لما يدعو إليه ونموذجا عمليا يحتذيه الأتباع ويخرج من أنفسهم عن أن يكون مضمون الدعوة أمرا خياليا بعيدا عن الواقع هذا بالإضافة إلى أن المدعو يتعلم من أخلاق الداعية من التفاصيل ما قد لا تبلغه الدعوة القولية.

(١٤٩) مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة. الشيخ محمد الغزالي - ط ٥ - القاهرة: دار الكتب الإسلامية، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ٢٩٧، ٢٩٨.

(١٥٠) كيف ندعو الناس - الشيخ عبد البديع صقرج - ط ٦ - بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ١٠٦، ١٠٧.

ولو أن أخلاق الداعي على خلاف ما يدعو إليه كان ذلك تكديبا ضمنيا لدعوته وإضعافا لها في نفوس المدعويين والأتباع والمعصية قبيحة من كل أحد، ولكنها من الداعية أشد قبحا وسوءا وهو مهلك لدعوته قاطع الناس عن القبول منه وهذا القول صادق على التمسك بالأخلاق والآداب الإسلامية بصفة عامة (١٥١).

ولأهمية القدوة في الدعوة أمر الله تعالى بالافتداء بإمام الدعاة صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (١٥٢).

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (واستدل الأصوليون بهذه الآية على الاحتجاج بأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم وأن الأصل أن أمته أسوته في الأحكام إلا ما دل الدليل الشرعي على الاختصاص به.

فالأسوة نوعان: أسوة حسنة، وأسوة سيئة.

فالأسوة الحسنة في الرسول صلى الله عليه وسلم فإن المتأسي به سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله وهو الصراط المستقيم.

وأما الأسوة بغيره إذا خالفه فهو الأسوة السيئة والأسوة الحسنة إنما يسلكها ويوفق لها من كان يرجو الله واليوم الآخر فإن ما معه من الإيمان وخوف الله ورجاء ثوابه وخوف عقابه يحثه على التأسي بالرسول صلى الله عليه وسلم (١٥٣).

٥ - تعميق الصلة بالله تعالى:

(١٥١) المؤسسة الفقهية إصدار وزارة الأوقاف والشفون الإسلامية - ط ٣ - الكويت، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ٣٣١/٢٠.

(١٥٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(١٥٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان الشيخ عبد الرحمن السعدي تحقيق عبد الرحمن اللويحق ص ٦٦٠.

وملازمة الداعية للاستغفار تقوي صلته بالله تعالى، وهذا ما يلزم الداعية.

والصلة بالله تعالى هي الدعامة الأولى في حياة الدعاة إلى الله تعالى ويرجع السبب في ذلك إلى أن الداعي إلى الله يهدف تعريف الناس ببرهم وتوثيق علاقاتهم به فكيف يتأتى له ذلك إذا كان جاهلاً بالله واهي الصلة به إن فاقده الشيء لا يعطيه، ومن لا يملك نصاباً لا يزكي ويضاف إلى هذا عبء الدعوة ثقيل تعجز قدرة المرء عن تحمله بمفرده بل ويضيع جهده فيها ما لم يصحبه توفيق الله وعونه وفي الإشارة إلى الترابط بين هذين المعنيين يقول نبي الله شبيب كما جاء في القرآن: (عَنْهُ إِنْ أُريدُ إِلَّا الْإِصْلَاحُ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (١٥٤) ولا يتأتى للمرء أن يصحبه توفيق الله ونصرته — وبالتالي نجاحه — ما لم يكن على صلة وثيقة بربه وعلاقة وطيدة بمولاه (١٥٥).

وما من شك في أن حسن صلة الداعية بربه تولد في نفسه طاقة هائلة من القوة والحركة يخدم بها الدعوة وينفع بها الناس.

يقول الشيخ/ محمد الغزالي رحمه الله: (والصلة بالله هي الأساس الأول في تكوين الدعاة إذ كيف تدعو الناس إلى أحد صلاتك به واهية ومعرفتك له قليلة؟ إن الذين يدعون إلى مرشح من المرشحين أو إلى مبدأ من المبادئ لا بد أن تكون أواصرهم بهذا الشخص أو بذلك المبدأ قائمة ومن ثم لا يفهم البتة أن يتصدى أحد للدعوة إلى الله والأخذ بصراطه وهو لا يعرف الله ولا يدري بصراطه...!!! ولذلك يقول الله

(١٥٤) سورة هود، الآية: ٨٨.

(١٥٥) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى "النظرية والتطبيق" طلعت محمد عفيفي - ط ١ - الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ٢٩.

جل شأنه: (الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا) (١٥٦).

وقد عرف الله نفسه إلى خلقه في آيات بينات استفاض بها الكتاب العزيز، وفي كلمة نفيسة زخر بها تراث النبوة والناس يتفاوتون في مدى استيعابهم وفقهم لهذه المآثورات المشرقة بنور الله والدعاة بداهة – أجل المؤمنين نصيبا من هذا النور... والمهم أن ندرك طبيعة هذه الصلة الإلية إنها روح ينفث الحياة وينبض بالحركة والقوة وشيع الضوء والدفء (أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (١٥٧) وهذه الصلة تشمل في موكبها أرقى ما في الحياة وأكفل أسباب النجاة ولذلك يرفض الإسلام أي مقارنة تسويها بغيرها (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ) (١٥٨).

وحق على الدعاة – وذلك مكائهم العتيد – ألا يهنوا في الحياة وألا يهنوا وألا يعدلوا بنسبتهم إلى الله شيئا وأن ينظروا إلى الحياة على أنها أصغر منهم وهم أكبر منها.

وأن تغلب رؤيتهم لله كل ما يملأ العين في زحام الأحياء وتكاثرهم، إن وعي الناس للحقائق المبعثرة حولهم يختلف اختلافا كبيرا ولما كان العباد قاطبة مكلفين أن يعرفوا ربهم وأن يؤدوا له حقوقا معينة فإن شعورهم به وبحقه يخالط أعمالهم وأحوالهم وينزل من نفوسهم منازل بعيدة التفاوت... وأغلب العامة يقيمون

(١٥٦) سورة الفرقان الآية: ٥٩

(١٥٧) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢

(١٥٨) سورة فاطر، الآيات: ١٩ – ٢٢.

الصلاة مثلاً والمسيطر على أنفسهم هو ما يقارن كل عادة مأنوسة وكل طريقة مدروسة أي شبه الشعور !! لا الوعي الكامل ولا القريب من الكمال وقد تتألق في حيوانات الناس لحظات ذكر يقظ وإنابة مخلصه ثم يستأنفون مسيرهم في دنياهم وتعفر جبينهم متاعبها ومأربها فهل صلة الدعاة برحم من هذا القبيل؟ لا... لا... إن الدعاة الذين يكرسون أوقاتهم لله ولدفع الناس إلى سبيله لا بد أن يكون شعورهم بالله أعمق وارتباطهم به أوثق وشغلهم به أدام ورقابتهم له أوضح أي أنهم إن هبطوا من مجال الضوء المشرق فيلى قريب منه إلى منطقة شبه الظل كما يقال, أما إذا سقطوا في عتمة فإن الأمر لا تتحملة وظيفتهم (١٥٩).

"إن أهم ما يجب على الداعية ويعينه على القيام بالدعوة توثق صلته بالله تعالى في يقين وقوة إيمان مفرغاً قلبه لله متين الارتباط به راسخ التوكل عليه تام التسليم له ولكل ما يأتي عن الله ورسوله من غير ارتياب أو حرج ليكون قيامه بالدعوة نابعا في قوله وفعله عن عقيدة إيمانية راسخة وصلة وثيقة بالله فينطلق بدعوته من مبدأ تحقيق الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق إلا وهي عبادة الله وحده قال الله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (١٦٠) وبالصلة الصادقة مع الله تعالى يرتفع الداعية بنفسه في عقيدته ومنهجه ويسعى في تحقيق ذلك لغيره (١٦١).

إن صلة الداعية بربه تعطيه ثباتا ورسوخا ويقينا وصلابة في مواجهة الشدائد والصعاب والعقبات في وقت توحدت فيه الكثير من الرايات لمواجهة الإسلام والنيل منه.

(١٥٩) مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة الشيخ محمد الغزالي, ص ١٨٩, ١٩٠ بتصرف.

(١٦٠) سورة الذاريات, الآية: ٥٦.

(١٦١) صفات الداعية الناجح - صالح محمد العليوي - ط ١ - الرياض: دار القاسم, ١٤١٦هـ/١٩٩٥, ص ٢٢.

إن إيمان الداعي العميق ثابت لا يترعرع مهما صادفته محنة أو شدة ومهما كانت حاله من ضعف وقلة ومهما كان حال الكفرة من قوة ومنعة حتى لو بقي وحده في الأرض وهكذا كان إيمان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع أحوالهم لم يتسرب إلى قلوبهم ذرة من الشك في كونهم على الحق وموصولين بالحق ويدعون إلى الحق ولا يضعف إيمان الداعي انصراف الناس عنه وعدم إجابتهم له فلا يدل هذا على أنه مقصر في دعوته ما دام قد أفرغ جهده فالتقصير يعرف - إن وجد - من قلة ما يقدمه الداعي للدعوة لا من عدم إجابة المدعو.

ومثل هذا الإيمان العميق الضروري لكل مسلم وهو للداعي أشد ضرورة في الوقت الحاضر الذي ازدادت فيه محن المسلمين وعلت فيه شوكة الكافرين وهذا يعطي الداعية دافعا من بذل جهد في سبيل إعلاء كلمة الله وإعزاز دينه وتلمس الدواء والعلاج لما أل إليه أمر الإسلام (١٦٢).

وأما السبل والطريق الموصل إلى حسن الصلة بالله وتقوية الإيمان به فهو أن يذكر الله تعالى على كل أحواله وحركاته وسكناته ويحرص على الاستغفار.

وعلى الداعية أن يكون دائم الحضور مع الله تعالى دائم الذكر له ولأجله وأن لا يبتعد عن كل ما يشغله عن ربه ومهمته إن رغب فبالله وبما عنده وإن رهب فمن الله ومن عذابه أن يلجأ إلى الله في كل شيء وأن يفرغ إليه في كل شيء وأن يجعل الله جليسه وكتابه أنيسة وجدير بالداعية أن يتأسى برسوله صلى الله

(١٦٢) أصول الدعوة عبد الكريم زيدان - ط ٩ - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

عليه وسلم فقد تعلق عليه الصلاة والسلام بالله في كل شيء فهو ذاكره، واثق به، مراقب له، مطيع، خائف، خاشع أثناء الليل وأطرف النهار(١٦٣).

٤- ملازمة الاستغفار دليل الإخلاص:

"إن الداعية المخلص هو الذي يجرد وجهته في عمله ودعوته من أي مطمع دنيوي ويؤثر رضا الله تبارك وتعالى على من سواه وتحقيق الداعية لهذا الخلق في دعوته يرقى به إلى أرقى المراتب وأسمى الدرجات والإخلاص هو الحماية القوية للإنسان من الوقوع في حبائل الشيطان وإذا كان الإخلاص مطلباً من جميع المؤمنين وشرطاً من شروط قبول الله للعمل فإن الدعاة إلى الله أحوج الناس إلى هذا الخلق من غيرهم لكونهم اختصوا بحمل أمانة العلم وشرفوا بالانتساب إلى القرآن"(١٦٤).

ويبين الشيخ محمد الغزالي أهمية الإخلاص في حياة الدعاة إلى الله فيقول: "الإخلاص روح الدين ولباب العبادة وأساس أي داع إلى الله وفي ميدان الدين لا يرتفع عمل أبداً ما لم تصحبه نية صالحة وما لم يقترن بإرادة وجه الله وحده والإخلاص فريضة على كل عابد وهو في محاربة الخاص يتعامل مع ربه فحسب فإذا اتصل الأمر بالدعاة فهو فريضة أكد وعقدة أوثق واتساع نطاق العمل واشتباكه مع أحوال الناس ورضاهم وسخطهم وقوتهم وضعفهم يجعل الداعية أحرص على استدامة ذكر الله ومطالعة وجهه حتى لا يضل الغاية ولا يحد عن النهج في زحمة هذه الحياة"(١٦٥).

والداعية الذي يتحلى بالإخلاص في دعوته يؤثر في نفوس المدعوين بموعظته ونصحه وقوله وفعله.

(١٦٣) مرشد الدعاة - الشيخ محمد نمر الخطيب - ط١ - بيروت: دار المعرفة ١٤٠١هـ/١٩٨١م ص ٢١٦، ٢١٧.

(١٦٤) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى "النظرية والتطبيق" طلعت محمد عفيفي سالم، ص ٥٧، ٥٨ بتصرف.

(١٦٥) مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة - الشيخ محمد الغزالي، ص ٢٠٢.

"ومن أهم صفات الداعية الإخلاص لله في العمل فلا يطلب على الإرشاد أجرا ولا يقصد به جزاء ولا شكورا من أحد ولا تحصيل جاه أو شهرة أو سمعة فإن المرشد إنما يكون مقبول النصيحة إذا كان خاليا من الأغراض الدنيوية أما إذا كان عمله لشيء من هذه الأغراض فلا أثر لقوله في قلوب الناس ألبته بل يعمل لوجه الله تعالى وطلباً لمرضاته وحسن مثوبته ولا يرى لنفسه منه على من يرشدهم فيجب علينا أن نؤدي الواجب حبا في الواجب وإطاعة لخالقنا وتلبية لضمائرنا وإرضاء لوجداننا لا إذعانا لسلطان المادة ولا جريا وراء شهوة نحصل عليها أو مغنم نصيبه فالداعي حتى يكون وارثا نبويا وعالما ربانيا يجب أن يتحلى بالإخلاص في الدعوة إلى الله وأن يعلم أنه لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار (١٦٦).

والداعية الذي يمرن نفسه على الإخلاص ويربها على الترفع عن الغايات الذاتية والمنافع الشخصية يصير الإخلاص ديدنه في أعماله كلها وتصرفاته جميعها، قال تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) (١٦٧).

قال صاحب المنار "فتذكر أيها المؤمن أن الذي يوطن نفسه على أن تكون حياته لله ومماته لله يتحرى الخير والصالح والإصلاح في كل عمل من أعماله ويطلب الكمال في ذلك لنفسه ليكون قدوة في الحق والخير في الدنيا وأهلا لرضوان الله في الآخرة ثم يتحرى أن يموت ميتة مرضية لله تعالى فلا يحرص على الحياة لذاتها ولا يخاف الموت فيمنعه الخوف من الجهاد في سبيل الله لإحقاق الحق وإبطال الباطل وإقامة

(١٦٦) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، الشيخ على محفوظ - ط ٥ - القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٥٢م، ص ١١٣، ١١٤ بتصرف.

(١٦٧) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣.

ميزان العدل والأخذ على أيدي أهل الجور والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في التوحيد والبراءة من الشرك الجلي والخفي فلا يعبد الرب إلا بما أمر دون أهواء الأنفس ونظريات العقول وتقاليد البشر (١٦٨).

إن الداعية الناجح في دعوته هو الذي يحرص أن تكون أعماله خالصة لله عز وجل ولا يشوبها رياء ولا سمعة ولا منفعة ولا مصلحة ذاتية.

"إن أي أن عمل لا يتصف بالصلاح والقبول حتى يكون على الشريعة ويكون خالصا لله وبناء على هذا فيجب على الدعاة أن يقصدوا من دعوتهم وجه الله وأن تكون جميع تصرفاتهم وأعمالهم وسلوكهم الاجتماعي على وفق شريعة الله وأن يحاسبوا أنفسهم بشكل دائم وأن يتساءلوا ماذا يريدون من تبليغ الدعوة؟ وماذا يقصدون من دعوة الناس؟ وأن ينظروا إلى أفعالهم هل هي مطابقة لأقوالهم ولسان حالهم؟ فالدعاة إلى الله إذا أدركوا هذه الحقائق ساروا صادقين في درب الإخلاص، ومضوا مخلصين في طريق الدعوة وحقق الله سبحانه على أيديهم إصلاح البشر وهداية الشعوب بل الناس يتأثرون بهم ويستجيبون لدعوتهم" (١٦٩).

الخاتمة:

(١٦٨) تفسير المنار، الإمام محمد رشيد رضا - القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م، ٢١٥/٨، ٢١٦.

(١٦٩) صفات الداعية النفسية، عبد الله ناصح علوان - ط ٤ - القاهرة: دار السلام، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ١٧، ١٨.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين, نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين,,, وبعد:

فقد من الله سبحانه وتعالى علينا في هذا البحث العلمي بتوفيقه وأثبتنا أن الاستغفار هو سياج الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وهو عدة الدعاة إلى الله إلى يوم الدين وأنه متمسك به قوم إلا سعدوا, وما تخلى عنه قوم إلا حلت بهم المصائب والنكبات.

وأنه لم ينفرد به نبي دون آخر بل الكل كان على درجة عالية من تحقيقه وله قسط وافر منه لأنه عبارة عن صلاح القلوب وزينة النفس وأنه زكاة للأعمال وحرى بالدعاة إلى الله أن يتحلوا به وأن يكون لهم قسط يومي وافر منه كما كان يفعله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأن ذلك مما يصفى نفس الداعية ويجردها من أدرانها, ويكسبها مرحلة متقدمة في نجاح دعوته كما أن على الدعاة إلى الله أن يزرعوا في نفوس مدعويهم أهمية الاستغفار الدائم لله سبحانه لأن الله هو الذي خلقنا ورزقنا ووهبنا جميع النعم وهو الذي أمرنا أن نطيعه فلا نعصيه, إن العبد مهما بلغ من حرصه واجتهاده فإنه خطاء مقصر ملول وقد جعل الله سبحانه الاستغفار محطة يتزود المؤمن فيها محو ذنوبه وتحديد توبته وعهده مع ربه ومن ثم ينطلق في حياته ليحقق الهدف من وجوده وخلقه ويعيش يومه في طاعة الله ورضوانه.

وحرى بالدعاة أن يحذروا مدعويهم من التخاذل وتناسي الاستغفار خشية أن يقع ألران على قلوبهم لأنه إذا أصيب قلب العبد بالران فإنه لا منجي له إلا الله والعبد المؤمن هو الأواب الذي لا يصبر على معصية ولا يدوم عليها بل يتمنى أن تكون حياته وسائر أعماله وفق ما يرضي الله تعالى وعلى هدي رسوله صلى الله عليه وسلم.

السنة الثانية عشرة الدرعية رمضان - ذو الحجة ١٤٣٠هـ
العددان: السابع والثامن والأربعون نوفمبر ٢٠٠٩م - يناير ٢٠١٠م

وفي الختام؛ أسأل الله تعالى أن يعيننا على أنفسنا بلزوم الاستغفار في سائر أيامنا وأعمالنا وأن يكون الاستغفار دوماً نصب أعيننا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

- ١- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري - ط ٣ - المدينة المنورة مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
- ٢- التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور - تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، دون بيانات أخرى.
- ٣- التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني؛ تحقيق عبد الرحمن عميرة - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- ٤- تفسير القرآن العظيم. الحافظ محمد بن إسماعيل بن كثير؛ تحقيق سامي بن محمد السلامة - ط ٢ - الرياض: دار طيبة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي؛ تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحي - ط ٩ - بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- ٦- جامع البيان في تأويل أي القرآن. محمد بن جرير الطبري؛ تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي - القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر.

السنة الثانية عشرة
الدرعية
رمضان - ذو الحجة ١٤٣٠هـ
نوفمبر ٢٠٠٩م - يناير ٢٠١٠م
العددان: السابع والثامن والأربعون

- ٧- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم. عبد الرحمن بن محمد شهاب الدين البغدادي الشهير بابن رجب؛ تحقيق شعيب الأرنؤوط ، وإبراهيم باجس - ط ٧ - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١٢ م.
- ٨- حلية الأولياء وطبقة الأصفياء: أبو نعيم أحمد عبد الله الأصبهاني - ط ٥ - القاهرة: دار الريان، ١٤٠٧ هـ.
- ٩- الزهد. أحمد بن حنبل - القاهرة: دار الريان، ١٤٠٨ هـ.
- ١٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة. الشيخ محمد ناصر الدين الألباني- الرياض: مكتبة المعارف.
- ١١- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجه، حكم على أحاديثه: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني؛ اعتني به مشهور بن حسن آل سلمان - ط ١ - الرياض: مكتبة المعارف.
- ١٢- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، حكم على أحاديثه: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني؛ اعتني به مشهور بن حسن آل سلمان - ط ١ - الرياض: مكتبة المعارف.
- ١٣- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي؛ حكم على أحاديثه: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني؛ اعتني به مشهور بن حسن آل سلمان - الرياض: مكتبة المعارف.
- ١٤ - صحيح البخاري، الإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري؛ اعتني به حسان عبد المنان - الأردن: بيت الأفكار الدولية.

رمضان - ذو الحجة ١٤٣٠ هـ

الدرعية

السنة الثانية عشرة

نوفمبر ٢٠٠٩م - يناير ٢٠١٠م

العددان: السابع والثامن والأربعون

١٥ - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري؛ اعتني به أبو صهيب الكرمي - الأردن: بيت الأفكار الدولية.

١٦ - صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته. الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - الرياض: المكتب الإسلامي.

١٧ - ضعيف الترغيب والترهيب. الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - الرياض: مكتبة المعارف.

١٨ - عون المعبود على سنن أبي داود. محمد أشرف بن أمير العظيم أبادي؛ تحقيق رائد بن صبري بن أبي علفة - عمان: طبعة بيت الأفكار الدولية.

١٩ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري. الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني؛ تحقيق

محمد فؤاد عبد الباقي وغيره - ط ٢ - القاهرة: القاهرة: دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٢٠ - القاموس المحيط. محمد بن يعقوب الفيروزأبادي - ط ١ - بيروت: دار إحياء التراث العربي،

١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

٢١ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - بيروت: دار الفكر

١٤١٢هـ.

٢٢ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني؛ جمع وترتيب: عبد الرحمن بن

محمد بن قاسم - الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ١٤١٦هـ / ١٩٧٨م.

٢٣ - محاسن التأويل. محمد جمال الدين ألقاسمي - ط ٢ - بيروت: دار الفكر ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

رمضان - ذو الحجة ١٤٣٠هـ

الدرعية

السنة الثانية عشرة

نوفمبر ٢٠٠٩م - يناير ٢٠١٠م

العددان: السابع والثامن والأربعون

٢٤ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. شمس الدين ابن القيم - ط ٢ -

الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

٢٥ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. الرافعي أحمد بن محمد الفيومي - بيروت : دار الفكر.

٢٦ - المعجم الكبير. سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني؛ تحقيق حمدي بن عبد المجيد

السلفي - ط ٢ - الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.

٢٧ - معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس بن زكريا؛ تحقيق عبد السلام محمد هارون - بيروت: دار

الجيل.

رمضان - ذو الحجة ١٤٣٠هـ

الدرعية

السنة الثانية عشرة

نوفمبر ٢٠٠٩م - يناير ٢٠١٠م

العددان: السابع والثامن والأربعون